**المحاضرة الأولى : الحياة الثقافية في الجزائر في القرن 19:**

يكاد يجمع المؤرخون على أن الثقافة العربية كانت ثقافة مزدهرة نسبيا ،وأن معظم سكان الجزائر كانوا يتقنون القراءة والكتابة والحساب ،وفاق عدد المدارس آنذاك 2000 مدرسة .

**عناصر الثقافة العربية :**

كانت بسيطة في معظم أحوالها وعلمية عميقة موسوعية في أحوال ناذرة ،وتمثلت الثقافة التقليدية البسيطة في اللغة العربية وعلومها والفقه الإسلامي وأصوله وعلم التفسير والمنطق وعلم الكلام ،وقلما كانت هذه الثقافة تشمل الرياضيات والطبيعيات.

كانت الثقافة السائدة في الجزائر آنذاك هي نفسها الثقافة السائدة في الوطن العربي ،وتشمل : الفلسفة والاداب وعلم الكلام والفقه وعلم الحديث والتاريخ والجغرافيا ...

أما بعد الاستعمار الفرنسي ،فقد عانت الثقافة العربية من الضعف ،وكان طبيعيا أن يضعف الشعر كذلك ،فقد سعى المستعمر إلى اضطهاد هذه الثقافة لسلخ الشعب من هويته العربية الاسلامية وتعويضها بالثقافة الفرنسية المسيحية ،ماجعل بعض الشباب الجزائري المثقف يذوب في الآداب الأجنبية ،وهو ماأطلق عليه الكاتب والصحفي عمر بن قدور (1886/1931) بفترة الاستلاب ،يقول :" استلبت الأمم الأخرى عقول شبان الإسلام ،واستهوى مجدها نشأه ونخبته ،فكما ترى رجلا يفخر بذكرى عالم فرنسوي وآخر يمجد اسم عالم إنجليزي ،ترى شابا يرفع عقيرته بأشعار فيكتور هيجو والآخر معجب بروايات شكسبير ،وهكذا ،فلاشغل لتلك الفئة إلا حمد رجال أوروبا وتمجيد نثرهم وشعرهم واختراعاتهم ،ومن المحال أن يخطر في بال أحد ذكر علامة مسلم أو شعر شاعر عربي مفلق ،أو إصلاح مصلح شرقي ،وأمثال هؤلاء عندهم كلا شيء في الوجود ".

**المراكز الدينية :**

بقيت المراكز التعليمية البسيطة تولي اهتمامها للشعر ،ونشأ في أحضانها رواته وحفاظه وناظموه ،وارتبط نظم الشعر بطلاب المساجد والزوايا يتنافسون في إنشاده بغض النظر عن الموهبة والإجادة ، وربما كان في ذلك الوقت في نظرهم علامة على البروز والرقي والتقدم في درجات الثقافة ، وعليه اصطبغت أشعار تلك الفترة بنوعية الثقافة السائدة فيها ، وهي ثقافة **شرعية**  غالبا ،إذ انحصرت مضامينه في  **الأغراض الدينية** ،وتشابهت نصوصه ،فإذا هي لون واحد وذوق واحد ، مرتكز على مدح المشائخ والكبراء ، والتغني بمآثر الأولياء والصالحين ، والتغزل في الذات الإلهية والتوسل بمدح الرسول (ص) وآله وغيرها من مضامين معروفة لاتخرج عن نطاق  **الصوفية الدينية .**

**مضامين شعرية أخرى :**

قد يعثر الباحث في شعر تلك الفترة على بعض القصائد غير الدينية ، وإن كانت قليلة جدا ،لاتخرج عن ذلك **الغزل** التقليدي المتكلف ،أو **الفخر** المرتكز على التباهي بالأجداد والأنساب والتدمر من العصر وأهله ، إلى جانب شعر **المجاملات والإخوانيات وشعر المناسبات**  مثل التهنئة بمةلود أو بترقية أو بوسام أو عيد أو التعزية في مصاب ...إلخ .

بل لقد تردى بعض هذا الشعر إلى **مدح الحكام الفرنسيين** بطريقة تعج نفاقا وتملقا ، وبلغة قريبة من العامية لا أثر للشعرية ولا للشاعرية فيها ، بل كان هناك من الشعراء من يتفانى ويبالغ في مدح الأشراف بإضفاء صفات العظمة والقداسة عليهم بأسلوب يغلب عليه الإبتدال والركاكة .

وعليه لم يمس الضعف هذا الشعر على مستوى **المضمون** فقط ،بل لحقه -وهذا منطقي ـ ضعف أشد من جانب **الشكل** ، فأثر الثقافة **الفقهية**  جرده من كل ملامح الجمالية ، ولم يبق من القصيجة غير أجراس الوزن وتكرر التفاعيل ، وحتى البيهة المشكلة للنص الشعري التقليدي **العروض** خالطها شيء غير قليل من الأخطاء واللحن والنشاز الموسيقي .

وشاع إلى جانب التكلف والصنعة اتخاد الشعر طابع التشطير والتخميس والمعارضة ، وكان في أكثره تقليدا لما يحفظه الناظم من شعر القدماء .

أما **اللغة** فقد ألبست لبوسا دينيا وفقهيا ، وعدت إلى العلوم الشرعية أقرب منها إلى الشعر والأدب ، يقول **البشير الإبراهيمي** :" إطلعنا على أكثرها، فإذا هي أخت الأشعار الملحونة الرائجة في السوق لأنها منقطعة الصلة بالشعر في أعاريضه وأضربه ، ومنقطعة الصلة بالخيال في تصرفه واختراعه ".

عامل آخر ساهم في كل هذا الضعف وهو **تزمت بعض رجال الدين**  ونظرتهم إلى الشعر نظرة تتسم بالتحفظ المتطرف ، إذ عده بعظهم من **لهو الحديث** الذي نهى الله عنه ، فالاشتغال به محرم ، والعلم الوحيد هو علم الشريعة .

كل هذا أدى إلى كساد حرفة الشعر وفقد محبيه والمهتمين به .